

حوار الأديان في إطار التحولات والتغيرات المحلية

الإقليمية والعالمية

د. أحمد محمد يوسف ومندان

المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية

— القاهرة —

المحتويات

تسعى هذه الدراسة إلى محاولة وضع إطار تأصيلي تحليلي لمجموعة من الإشكاليات النظرية والمنهجية المعنية بفكرة وفلسفة حوار الأديان، وخاصة في ضوء التحولات والتغيرات المحلية والإقليمية والدولية، من خلال التعرض لعدد من القضايا والمجاور الهامة نوجزها من خلال التسلسل الآتي:

مقدمة

- * قيمة ودور وفائدة وضرورة الحوار بين الأديان.
- * المكانة التي يحتلها حوار الأديان في عالمنا الراهن.
- * من أين نبدأ الحوار، وأين يتحدد عمله اليوم؟
- * ما الذي يمكن أن يقدمه الحوار للبشرية حاضرا ومستقبلا؟

الإطار المرجعي والجذور التاريخية لفكرة حوار الأديان

- * الحوار منهج إسلامي أصيل (انفتاح الفكر الإسلامي).
- * الحوار مبدأ أخلاقي إنساني.
- * الأزهر الشريف وتحمل مسؤولية تبني الحوار والدفاع عنه.

المبادئ الأساسية التي تحكم فكرة الحوار

- * الحوار هو البديل للمواجهة.
- * لا حوار في العقيدة — الكل مطالب باحترام عقيدة الآخر.

- * تقبل الآخر والتجاوز معه والبحث عن منهجه وفهمه.
- * محاولة الوصول لإيجاد أرضية مشتركة لكل الأطراف المتحاور في إطار القيم المشتركة بين الأديان.

أهداف الحوار

- * الحوار من أجل البحث عن القيم المشتركة للأديان.

* العدل.

* السلام.

* التنمية.

- * خلق مناخ من التفاهم المشترك.

مستويات حوار الأديان

- * مستوى اللجنة الدائمة بالأزهر.

- * مستوى لجنة الحوار والعلاقات الإسلامية بالمجلس الإسلامي الأعلى للشؤون الإسلامية.

- * المؤسسة الدولية لحوار الأديان السماوية وتعليم الإسلام.

منهج الحوار

- * استراتيجياته.

* آلياته.

- * الجهود الدولية والإقليمية المعنية بالحوار.

معوقات نجاح الحوار

- رؤية استشرافية وضرورة إعادة صياغة الخطاب الديني في ضوء التحولات والتغيرات المحلية والإقليمية والدولية.

تمهيد (مقدمات الحوار - التغيرات الدولية المعاصرة)

تغيرت النظرة إلى مسألة الحوار بين الأديان كانعكاس حتمي للتغيرات والتحولات الجسام التي شهدتها العالم في الآونة الأخيرة، وأثرت تأثيراً مباشراً على منطقتنا العربية ونظرة الغرب للإسلام وعلاقتهم بالمسلمين، وقد أفرز هذا المناخ حقائق منها:

* أن الساحة الدولية الآن تشجع على العدوانية بين الأديان يساعد على ذلك الإعلام الغربي والصهيونية بصفة خاصة.

* أن فكرة الرفض للآخر أصبحت منتشرة في الوقت الراهن أكثر من أي وقت مضى.

* التحول في القيم والمصالح الدولية وانتشار بؤر الصراع العرقي في عدة مناطق من العالم ولعل أهمها المنطقة العربية.

* تبدل النظام العالمي الذي كان قائماً لعقود طويلة ليحل بدلا منه نظام عالمي جديد على أسس تختلف عن أسس النظام السابق يتم الاعتماد عليها في تحديد دور الدول على الصعيد الدولي (القوة الاقتصادية والتقدم التكنولوجي، اقتصاد السوق، المنافسة الاقتصادية).

* اختفاء نظام توازن القوى (ثنائية القوى) وتفرد الولايات المتحدة بإدارة وتوجيه الشؤون الدولية وظهورها كقوة أوحدها أعظم في العالم.

* بزوغ العولمة وسيادة الرأسمالية وانتصار الليبرالية، استطاعت العولمة أن تخلق تحديات عالمية تدفعنا إلى عصر جديد له قيم ومفاهيم مختلفة تفرضها ثورة المعلومات والاتصالات وقد أسهمت هذه الثورة المعلوماتية والثقافية في تغيير الكثير من الثوابت في حياتنا وأوجدت واقعا عالميا جديدا من الاعتماد المتبادل بين الشعوب المحبة للسلام العادل والمؤمنة بمبدأ التعاون من أجل خير البشرية خاصة، وأن الاختبارات والحوادث أثبتت أن

هناك متغيرات أخرى غير الدين هي التي تلعب دورها في إثارة الصراع بين الأديان¹، وأن الصراع بين الأنا والآخر الديني ما هو إلا نتيجة لتأويل منحرف في ظرف منحرف².

وفي خضم هذا التحول العالمي الكبير حدثت هجمات سبتمبر 2001 على الولايات المتحدة والتي أعلنت في أعقابها الحرب على الإرهاب وبررتها بأنها حرب عادلة وصور لها البعض أن هذه الحرب يجب أن توجه للإسلام الذي خرجت من تحت عبائته هذه الهجمات الانتحارية، وبالفعل اعتنقت أمريكا سياسة الحرب ضد الإرهاب وشبهتها بأنها حرب صليبية بلا نهاية ولا هوادة وحددت أهدافها المباشرة في القضاء على محور الشر وحددته في مجموعة من الدول الإسلامية.

ووسط زخم الأحداث في أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر اختلطت المفاهيم والمواقف وحاول الإعلام الغربي الموجه يهوديا باستماتة الزج بالعرب المسلمين في معسكر الإرهاب وحال هذا الإعلام استغلال التباين الديني بين الشرق والغرب لخلق صراع ديني غير موجود أصلا.

وبطبيعة الحال فإن الحملة ضد الإرهاب ظلمت الإسلام والمسلمين لانعدام المعرفة الحقيقية بطبيعة الدين الإسلامي وحقيقة المسلمين.

كل هذه المتغيرات تفرض على الجميع مواجهة التحديات بمفاهيم وأساليب جديدة مستهدفة وغير تقليدية يراعى فيها التغيرات العالمية دون المساس بخصوصيتنا الحضارية والدينية والثقافية.

¹ — علي ليلة، التراث والتغير الاجتماعي، جامعة القاهرة، كلية الآداب، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2002، الطبعة الأولى، ص 136.

² — علي ليلة، مرجع سابق، ص 134.

إشكالية الحوار بين الأديان

على الرغم من أهمية الموضوع، فإن إشكالية الحوار بين الأديان لم تنل الاهتمام الملائم سواء على المستوى الرسمي أو الأهلي في مجتمعاتنا العربية من حيث منهجية الحوار وأطروحاته¹ وأدبياته ومعطياته.

وعلى هذا الأساس فإن إشكالية الحوار بين الأديان أصبحت تطرح نفسها كأحد القضايا الاستراتيجية الهامة لما يتضمنه من عناصر إيمانية تضيي طابعها على السلوك الحوارى وتعطيه مسحة عقائدية تتأثر بها أخلاقيات الحوار، وكذلك ما يهدف إليه من تخليص الإسلام من الهواجس والافتراءات التي حاول الفكر الغربى مدعوماً بالإعلام الصهيونى أن يلصقها به والتي تدعى بدون حق أن الإسلام دين الإرهاب وأن المسلمين إرهابيين².

مفهوم الحوار بين الأديان

الحوار نط من أنماط التفاوض والتحاو المتعدد الأطراف والأغراض في آن واحد³. والحوار في اللغة يعنى التحاو والمجادلة: «قال له صاحبه وهو يحاوره»⁴، ويقال: القوم حاو بعضهم بعضاً⁵. وأما معناه الدينى من وجهة نظرنا فهو خطاب الأطراف المنتمين لديانات وعقائد مختلفة بعضهم للبعض الآخر يعبر فيه كل طرف عما تتضمنه

¹ - في هذا المعنى انظر، عز الدين دياب، الحوار الاجتماعى في الوطن العربى من منظور قومى، جامعة الدول العربية، مجلة شؤون عربية، العدد 90، يناير 1997، ص 99.

² - عز الدين دياب، المرجع السابق، ص ص 99 - 100.

³ - بكر مصباح، تطور استراتيجية الحوار العربى - الأوروبى في ضوء المتغيرات الإقليمية والدولية، جامعة الدول العربية، مجلة شؤون عربية، العدد 90، يونيو 1997، ص 39.

⁴ - سورة الكهف: 37.

⁵ - المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم، المعجم العربى، 1989، ص ص 362، 363.

شريعته من مبادئ وأسس لخدمة الإنسانية جمعاء، وتحقيق السلام والعدل والمساواة وحقوق الإنسان دون الخوض في التفصيلات العقائدية المعنية بعلاقة الإنسان بربه.

الملاحظات التي تنطلق منها عملية الحوار

- * إن الديانات الكتابية الثلاثة - الإسلام والمسيحية واليهودية - تدعو للسلام وتعطي قيمة للحياة الإنسانية وتحمل جميعها نفس الرسالة.
- * إن الفكر المتطرف والأصولية موجود في جميع الديانات.
- * إن كل الديانات مطالبة بالمشاركة البناءة في إعادة تشكيل النظام العالمي الجديد والذي يبدأ بالحوار الجاد بين هذه الديانات.
- * إن الدين الإسلامي لا يقف حجر عثرة أمام حوار الأديان، فالإسلام لا يمنع الحوار طالما كان قائماً على العدل والتوازن كما أنه بطبيعته يميل إلى السلام والوسطية، وأنه لا يفقد القدرة على التعايش مع الحداثة والتقدم ويقبل الآخر.
- * إن حالة الحرب والصراعات العسكرية المنتشرة في بؤر عديدة من العالم الآن وأهمها التحالف الدولي ضد ما يسمى بالإرهاب، وما تمارسه إسرائيل من اعتداءات وحشية على الفلسطينيين كل هذه الحروب لن تتوقف أو تتراجع إلا بتحريك نشط من المتدينين المعتدلين في الديانات الثلاث لبدء حوار بينهم يرهنون من خلاله أن النقاش والتسامح هي قيم أصيلة في جميع الأديان وأن المعاشية بين الأديان ممكنة.

أطراف الحوار

لعل نقطة البدء في الحوار يمكن أن تكون بين أطراف ثلاثة من المسلمين والمسيحيين الشرقيين وهذه القلة من اليهود المؤمنين بالتعايش والتسامح.

مهمة الحوار

إن المهمة الأساسية للحوار بين الأديان هي تخفيف حدة التوتر والصدام والصراع والاشتباكات الدينية ما أمكن بين الاتجاهات العقائدية والدينية المختلفة وذلك كله من

أجل حياة إنسانية أفضل تصعد فيه قيمة الإنسان وإنسانيته ويسودها السلام بين سائر البشر والحد من الصراعات التي تحدث نتيجة دوافع مذهبية أو عقائدية.

المرجعية الإسلامية للحوار بين الأديان

أ - الإسلام والحوار بين الأديان

الدعوة إلى الحوار بين الأديان لها تاريخ كبير متمثل في قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾¹، و﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾²، وقوله ﷺ: ﴿لا إكراه في الدين﴾³، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾⁴، وقوله: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾⁵، وقوله: ﴿لي عملي ولكم عملكم﴾⁶، و﴿لكم دينكم ولي دين﴾⁷.

وهذه المرجعية الإسلامية لحوار الأديان تقوم على أساس عدة مبادئ أهمها:

* الاعتراف المتبادل بين كرامة الأطراف بشرعية التعددية الدينية والاختلاف الثقافي والفكري وحرية الرأي.

* احترام كل طرف للآخر في نظريته للدين.

* قبول الطرف الآخر وقبول التحاور معه دون إكراه ديني وجعل المصالح المشتركة وتحقيق السلام والعدل والخير للبشرية القاسم المشترك بين الأطراف المتحاورين.

¹ - سورة الحجرات: 13.

² - سورة النساء: 01.

³ - سورة البقرة: 256.

⁴ - سورة النحل: 125.

⁵ - سورة البقرة: 111.

⁶ - سورة يونس: 41.

⁷ - سورة الكافرون: 06.

ودعوة القرآن الكريم للتسامح والتعايش مع الآخرين واردة في مناسبات عديدة تدعو المسلمين للعيش وترك الآخرين يعيشون أيضاً، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾¹.

فالإسلام من أكثر الديانات تسامحاً ويلزم المسلمين بالاعتراف بالمسيحية واليهودية ورسالتها كشرط واجب للانتماء للدين وحمل صفة المؤمن وأنه لا علاقة بين صحيح الإسلام والإرهاب وأن التطرف الديني والأصولية موجود في المسيحية واليهودية أيضاً وأنه من الخطأ اعتبار قلة متطرفة النموذج السائد والشائع لأصحاب ديانة بأكملها لا سيما وأن التأييد الأمريكي لإسرائيل المطلق هو الوقود الذي يغذي هذه الأقليات الأصولية المتشددة والرافضة لما يجري في الأراضي الفلسطينية.

ب — موقف الشريعة الإسلامية من غير المسلمين:

في خضم الهجوم الإعلامي الغربي المؤيد بالإعلام الصهيوني ضد الإسلام ومحاولة ربطه بالإرهاب ادعى البعض منهم أن الإسلام يسيء إلى غير المسلمين على غير الحقيقة، فالإسلام قد ساوى بين الناس جميعاً مسلمين وغير مسلمين، فكلهم من أب واحد ومن أم واحدة، وقد برهن الإسلام على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾²، فهذه الآية الكريمة تدلل على أن الناس جميعاً قد انحدروا من أصل واحد مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم، وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ

¹ — سورة المائدة: 13.

² — سورة النساء: 01.

وأنتى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير»¹

ونظم الإسلام طريقة معاملة المسلم مع غير المسلمين والمنهج الذي تسير عليه هذه المعاملة لمن يقاتلون المسلمين ومن لم يقاتلوهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون»².

كما يأمر الإسلام المسلمين أن يوفوا بالعهود مع الناس جميعا مسلمين وغير مسلمين وينهى عن محاربة من عقد بينهم وبين المسلمين عهد أمان إلا أن يخون هؤلاء عهدهم وذلك لما جاء في قوله تعالى: ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين»³.

كذلك يحث الإسلام المسلمين على إجارة ومساعدة من يستغيث بهم وأن يحافظوا عليه وعلى أمواله حتى يصل إلى موطنه، حتى ولو كان من المشركين بقوله تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون»⁴.

وهكذا يضرب الإسلام مثلا رائعا في معاملة غير المسلمين وهو موقف حضاري متميز يتسم بالعدالة والسماحة والوفاء بالعهود وإغاثة المستجيرين من غير المسلمين وعدم إكراه أحد على الإسلام.

¹ — سورة الحجرات: الآية 13.

² — سورة الممتحنة: 08 - 09.

³ — سورة الأنفال: 58.

⁴ — سورة التوبة: 02.

ج - الإسلام وحقوق الإنسان:

في هذا المحور نتناول أهم المبادئ العامة التي تحدد نطاق التنظيم الإسلامي لحقوق الإنسان، حيث اهتم الشارع الإسلامي بحماية الإنسان وكفالة حقوقه الأساسية¹. ويبدو ذلك واضحاً تمام الوضوح في آيات القرآن الكريم والسنة الشريفة، وهي كلها حقوق تنبعث من مبدأ أساسي هو تكريم الله للإنسان واعتباره حاملاً لثقة عظيمة من الخالق، وتفضيله على غيره من المخلوقات، لما يحمله الإنسان من رسالة في الحياة تتجلى في إعمار الكون، ومن هنا كانت لممارسة حقوق الإنسان في الإسلام أهمية كبرى في حفظ الدين والنفس والعرض والمال، وإقامة موازين العدل، وغير ذلك من الأمثلة التي ترخر بها الشريعة من كنوز تحويها، في هذا الإطار عني الفقه الإسلامي عناية بالغة في صياغتها في شكل نظرية عامة تضارع أحدث ما أسفرت عنه مذاهب المحدثين من فقهاء القانون والفكر الوضعي².

أهم صور حقوق الإنسان في الإسلام

حق الحياة:

فحياة الإنسان مقدسة في الإسلام ولا يجوز لأحد أن يتعدى عليها، وثابت ذلك بقوله تعالى: ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾³، ولا تسلب هذه القدسية إلا بسلطان الشريعة وبالإجراءات التي تقرها.

حق الحرية:

¹ - أحمد فتحي سرور، الشرعية والإجراءات الجنائية، دار النهضة العربية، 1997، ص 87 وما بعدها.

² - حسني درويش عبد الحميد، الشريعة الإسلامية أصل النظريات القانونية، المحاماة، السنة الخامسة والستون، العددان التاسع والعاشر، نوفمبر / ديسمبر 1985.

³ - سورة المائدة: 32.

حرية الإنسان لحياته مقدسة، وهي الصفة الطبيعية الأولى التي بها يولد الإنسان، بقوله
 ﴿ما من مولود إلا يولد على الفطرة»¹، وليس لأحد أن يعتدي عليها، وثابت بما
 روي عن عمر رضي الله عنه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدكم أمهاتهم أحراراً».

حق المساواة:

الناس جميعاً سواسية أمام الشريعة الإسلامية وثابت بقوله ﷺ: «لا فضل لعربي على
 عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا
 بالتقوى»²، ولا تمايز بين الأفراد في تطبيقها عليهم: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت
 لقطعت يدها»³، ولا في حمايتها إياهم: «ألا إن أضعفهم عندي القوي حتى آخذ الحق
 منه، وأقواهم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له»⁴.

والناس كلهم في القيمة الإنسانية سواء: «كلكم لآدم وآدم من تراب»⁵؛ وإنما
 يتفاضلون بحسب عملهم: «ولكل درجات مما عملوا»⁶؛ ويعتبر كل فكر وتشريع
 يسوغ التفرقة بين الأفراد على أساس الجنس والعرق أو اللون أو اللغة أو الدين، هو
 مصادرة مباشرة لهذا المبدأ الإسلامي العام.

حق العدالة

من حق الفرد أن يتحاكم إلى الشريعة، وأن يحاكم بها دون سواها، «فإن تنازعتم في
 شيء فردوه إلى الله والرسول»⁷، و«وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم»¹،

¹ - رواه الشيخان.

² - من خطبة للنبي ﷺ.

³ - رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

⁴ - من خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عقب توليه خليفة على المسلمين.

⁵ - من خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع.

⁶ - سورة الأحقاف: 19.

⁷ - سورة النساء: 59.

من حق الإنسان أن يلجأ إلى سلطة شرعية تحميه وتنصفه وتدفع عنه ما لحقه من ضرر أو ظلم، وعلى الحاكم المسلم أن يعمم هذه السلطة، ويوفر لها الضمانات الكفيلة بحيدتها واستقلالها: «إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويحتمي به»².

الحرية الشخصية

اهتم الشارع الإسلامي بحماية الإنسان وكفالة حقه في حياته، قال تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا﴾³.

الحق في المساواة

وكفل الإسلام المساواة بين الأفراد، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾

الإسلام وحرية الرأي

يكفل الإسلام حرية الرأي الذي لا يحده سوى ألا يكون في هذا الرأي طعنا على الأديان أو الخروج عليها أو التشكيك في أي عقيدة⁵ (الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر).

¹ — سورة المائدة: 49.

² — رواه الشيخان.

³ — سورة الإسراء: 33.

⁴ — سورة الحجرات: 13.

⁵ — عبد السلام نوير، الحرية السياسية في الإسلام، ندوة العالم الإسلامي في ظل متغيرات العصر، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 1997، ص 20.

حرية العقيدة

وكفل الإسلام كذلك العقيدة بقوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾¹، وقوله تعالى: ﴿قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾².

الحق في الخصوصية

وكفل الإسلام الحق في الحياة فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾³، وقال عز شأنه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾⁴.

وقد احتاط الشارع الإسلامي بالنسبة للجرائم ذات العقوبات الجسدية، وهي جرائم الحدود، وخاصة جريمة الزنا، فأوجب شروطا خاصة متشددة للإثبات⁵. وافترض الشارع الإسلامي البراءة كأصل عام، ويبدو ذلك واضحا في جرائم الحدود بقوله ﷺ: «ادرؤوا الحدود بالشبهات»، وما أورده السيدة عائشة رضي الله عنها

¹ - سورة البقرة: 256.

² - سورة يونس: 108.

³ - سورة النور: 27 - 28.

⁴ - سورة الحجرات: 12.

⁵ - أحمد فتحي سرور، مرجع سابق، ص 88.

«ادرعوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن وجدتم للمسلم مخرجاً فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»¹.

ومن القصص المشهورة في الإسلام للتدليل على احترام الخصوصية ما روي أن عمر بن الخطاب تسور منزلاً ليطالع على حقيقة قهمة بشرب الخمر فرد عليه أصحاب المسكن بأن الخليفة قد خالف أوامر القرآن في حماية الخصوصية: «وأوتوا البيوت من أبوابها»²، «ولا تجسسوا»³، «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا»⁴، فأخذ الخليفة العادل بوجهة نظرهم رغم تلبسهم بالمعصية احتراماً للحقوق والحريات الأساسية للفرد في دولة الإسلام، فهذه القضية لها دلالتها البالغة في مدى حرص الإسلام على حماية حقوق الإنسان أياً كانت درجة ثبوتها كواقعة تاريخية.

حماية الإنسان من التعذيب

حظر الإسلام تعذيب الإنسان والخط من كرامته، ولقد حوَّط الرسول ﷺ في شأن متهمين بالسرقة ليمتحنهما بالضرب حتى يقرأ فأبى عليه الصلاة والسلام وقال: «إن شئتم أضربهم وإن أخرج الله متاعهم فذلك، وإلا أخذت من ظهوركم مثله، هذا حكم الله ﷻ ورسوله»⁵.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب يقول للمسلمين: «إني لم أبعث عليكم عمالكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم، والله لو شكا أحد ذلك من عامل لأقصنه منه؛ فتسائل والي مصر عمرو بن العاص عن العامل يؤدب بعض رعيته هل يقص الخليفة منه؟ فقطع الخليفة في حزم إنه ليفعل، وأقسم لأقصن منه، وقد

¹ - أخرجه الترمذي والحاكم والبيهقي.

² - سورة البقرة: 189.

³ - سورة الحجرات: 12.

⁴ - سورة النور: 27.

⁵ - رواه النسائي.

رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه؟ ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم...»¹، واقتصاص الخليفة لصبي قبطي من ابن والي مصر عمرو بن العاص معروف ومشهور، ولقد أذن للصبي القبطي أن يضرب الوالي نفسه، وفي ذلك قال الخليفة قولته المأثورة: «منذ متى تعبدتم الناس وقد ولدكم أمهاتهم أحرارا».

حقوق الأقليات غير الإسلامية في الإسلام²

ليس في الإسلام شعب مختار وإنما الأكرم هو الأتقى، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾³، وقوله: ﴿ليس بأمانيتكم ولا أمانني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به﴾⁴، وقوله: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾⁵. فالله سبحانه وتعالى قد خلق كل الناس من أب واحد وأم واحدة وجعلهم شعوبا وقبائل وأما ودولا، وجعلهم مختلفين في أديانهم ومذاهبهم ليتعارفوا ويتآلفوا ويتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وكان من نتيجة هذا المسلك الإسلامي وجود أقليات غير إسلامية في البلاد الإسلامية، وقد تمتعت هذه الأقليات بكامل الحقوق، وتولوا المناصب الكبرى في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعصرين العباسي والعثماني حتى الآن⁶. وليس في الإسلام إرغام لغير المسلمين على اعتناق الإسلام، ولا يعرف الإسلام اضطهاد غير المسلمين، بل على العكس فقد قبل الرسول

¹ — الطبري، باب مناقب عمر وأقواله وأفعاله بعد خبر مقتله، مشار إليه عند محمد فتحي عثمان، حقوق الإنسان، دار الشروق، 1982، ص 78 وما بعدها.

² — لمزيد من التفصيل، انظر، القطب محمد القطب، الإسلام وحقوق الإنسان، غير المسلمين في الدولة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، 1987، ص 320 وما بعدها.

³ — سورة الحجرات: 13.

⁴ — سورة النساء: 123.

⁵ — سورة الحجرات: الآية 13.

⁶ — القطب محمد القطب، مرجع سابق، ص 322.

الهدايا من غير المسلمين، وتزوج من غير مسلمة، واستعان في سلمه وحربه بغير المسلمين، حيث ضمن ولائهم له ولم يخش شراً ولا كيذاً، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي¹.

فالخلاصة إذن أن كل الناس في الإسلام سواء، ويتمتع غير المسلمين بالحقوق المساواة، وتولي الوظائف العامة، وصيانة الحرية الشخصية، وحرية العقيدة، والحقوق السياسية، واللجوء إلى القضاء، وغيرها، كما يكون لغير المسلمين سواء بسواء، وعليهم أيضاً من القيود والالتزامات والواجبات ما عليهم.

هذا هو الإسلام في نقائه وصفاته وعدالته وسماحته ورحمته وأمانته في حربه وسلمه. * في قيمه وآدابه.

* في موقفه من غير المسلمين.

* في تكريمه لبني آدم أجمعين.

* في منهجه من الحوار وانفتاح فكره وقبوله للآخر.

* في اعترافه بالمساواة بين البشر والفضل بينهم وأنهم جميعاً خلقوا ليعمروا الحياة بالقول الطيب والعمل الصالح والتعاون على البر والتقوى.

* في إقراره لكل إنسان بحقه في الحياة الحرة الكريمة وحرية التعبير عن رأيه وعقيدته بالأسلوب الحكيم والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن وصيانة أعراض وحياة وحرمان الناس جميعاً.

* في تحريمه للظلم وإعلانه قيمة العدل.

* في إقامة العلاقات بين الناس على السلام والأمان والتعارف وعدم الاعتداء وإحلال التعاون والتقارب بين البشر بدلاً من التنافر والتباعد والتصادم.

¹ — يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة وهبة، بدون تاريخ نشر، ص 49 وما بعدها، مشار إليه عند القطب محمد القطب، المرجع السابق، ص 323، هامش 04.

د - الحوار مبدأ أخلاقي إنساني

بالإضافة إلى الإطار المرجعي الإسلامي لفكرة الحوار مع الآخر المختلف دينيا فإن الحوار بين الأديان يجد سنده وتبريره المنطقي في أنه مبدأ أخلاقي إنساني يعني قبول الآخر، فالحوار ضد التعصب وهو قوة دفع لبناء السلام يقوم على التسامح ويند الحروب والكرهية وطالما تعايش المختلفين دينيا في مناطق كثيرة من العالم وعلى سبيل المثال مصر حيث يوجد تعايش طبيعي وحقيقي غير مفتعل وممتد لقرون طويلة بين المسلمين والمسيحيين¹، وإذا كانت حالة مصر تضرب بذلك مثالا رائعا للتعايش والتعاور مع الآخر دينيا فالأولى أن تعمم هذه التجربة في شكل حوار بين الأديان الثلاثة بغية تحقيق أهداف إنسانية راقية مشتركة.

المبادئ الأساسية التي تحكم فكرة الحوار

- * لا حوار في العقيدة، فالكل مطالب باحترام عقيدة الآخر، والحوار فيما يتصل بالعلاقات بين الأفراد ومعاملاتهم والبعد بقدر الإمكان عن الدخول في مسائل تتصل بالعقيدة حتى لا يفسد الحوار قبل أن يبدأ.
- * الحوار من أجل البحث عن القيم المشتركة للأديان، وقد يكون من هذه القيم، العدل والمساواة والسلام والمعيشة المشتركة وحب الخير للإنسانية والشعوب والتنمية المشتركة، والبحث عن أرضية مشتركة يتم من خلال التعاون والتعاور.
- * الحوار على أساس التوازن في المصالح، فالجميع يجب أن يدرك أن الحوار مع الآخر ينطلق من مجموعة مصالح متوازنة وأنه غير خاضع لأي لون من ألوان الذل أو الضعف بل على العكس من ذلك فإن الحوار بقدر ما يحقق له منافع ومصالح يحقق للآخرين

¹ - ميلاد حنا، من حالة الحرب المدمرة إلى حالة الحوار الذي يبني، مقال بجريدة الأهرام تاريخ 2002/01/29، ص 10.

وبنفس القدر نفس الحقوق والمنافع والمصالح، فهذه المصالح المتوازنة هي التي تخلق مناخا من التفاهم المشترك.

* الاقتناع بأن الحوار هو البديل الأمثل للمواجهة والصراع والتصادم، وأن الفكر الإنساني قد تجاوز عصر البربر والهمجية وأن الصراع والتصادم لم يقدم حلول دائمة للمشكلات الدولية بعكس الحوار والتفاوض والتفاهم الذي يزرع الثقة بين الأطراف المختلفة ويكسر الحاجز النفسي الذي شيدته الصراعات والتراعات.

* قبول الآخر بكل ما يحمله من خصوصية حضارية وثقافية والتحاور معه والبحث عن منهجه وفهمه.

أهداف الحوار

يسعى الحوار إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الأساسية ومنها:

* البحث عن القيم المشتركة للأديان مثل:

— العدل.

— السلام.

— التنمية.

— الإخاء.

— الخير لكل البشرية.

* إيجاد حلول أهلية لمشكلات مستعصية خلقتها الظروف السياسية المحلية والإقليمية والدولية.

* خلق مناخ من التفاهم المشترك يعكس بوضوح أن الضمير الإنساني نبذ التعصب والعنف ويميل للعيش في سلام مع باقي البشر من أجل إعمار الكون الذي نعتبر جميعا شركاء في إعماره.

* تقدم نموذج حضاري للبشرية في حل ومواجهة المنازعة القائمة أو التي قد تنشأ مستقبلاً فنصبح أمام عالم تحكمه قيم جديدة إيجابية متجاوزاً بذلك ما كان يعتريه من قيم سلبية في العلاقات الدولية (عالم ما قبل وما بعد الحوار).
وهكذا يهدف الحوار إلى احتلال مكانة ومترلة عظيمة في عالمنا الراهن.

مستويات وآليات الحوار

أنشأ الأزهر الشريف اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان وعقدت عدة جلسات حوارية بين الأزهر والفاثيكان محتلاً بذلك دوراً رائداً في هذا المكان انطلاقاً مما يحمله من قيم حضارية إسلامية ليبرهن ويضرب المثل على أن الإسلام يشجع الحوار مع الآخر ويتقبله ويرضى أن يعيش معه في سلام وأمان طالما قبل الآخر ذلك.
بالإضافة إلى هذا المستوى للحوار فهناك لجنة للحوار بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية والمؤسسة الدولية لحوار الأديان السماوية، وعلى هذا النحو تتحدد مستويات الحوار حالياً فيما يلي:

- * اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان بالأزهر الشريف.
- * لجنة الحوار والعلاقات الإسلامية بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- * المؤسسة الدولية لحوار الأديان السماوية وتعليم الإسلام.
- والأمل أن تنتشر أجهزة وآليات حوار الأديان على مختلف الأصعدة وفي كل البلدان.

الخلاصة

إن المدخل الرئيسي للحوار يبدأ من مسلمة أساسية وهي التأكيد على فائدته وأهميته لأطراف الحوار وأنه حوار خلاق يعظم الأمور المتفق عليها ويترك الاختلافات، ينسق ويوازن بين الأطراف ولا يسمح بطغيان طرف على آخر مع عدم الدخول في تفاصيل عقائدية سلفية تفسد الحوار الذي قبله الأطراف من أجل حل الصراعات على أساس المصلحة المشتركة والسلام الشامل للجميع، ومن هذا المنطلق يمكن تحديد القضايا التي

يثيرها حوار الأديان ومبادئه ومحدداته وآلياته وأهدافه ومستوياته، بيد أن تفعيل

هذا الحوار لخدمة قضايا الإنسانية يستلزم منا:

أولا — إعادة صياغة الخطاب الديني

ضرورة إعادة صياغة الخطاب الديني لكي يكون موفقا ومقنعا فيراعي أحوال
المخاطبين بخطاب يتناسب مع ثقافتهم وفهمهم للأمور: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو
أعلم بالمهتدين»¹.

وقوله سبحانه وتعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين
ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له
مسلمون»².

وهذه الآيات وغيرها تحثنا على أن نجادل ونحاور غيرنا من أهل الكتاب بالطريقة
الحسنة وأن يكون المدخل إلى ذلك القول بأننا آمنا بالقرآن الذي أنزله الله تعالى على
رسوله محمد ﷺ والإيمان بالتوراة التي أنزلها الله سبحانه على نبيه موسى عليه السلام، والإنجيل
الذي أنزله على نبيه عيسى عليه السلام ونحن جميعا لخالفنا وحده عابدون ومطيعون.

ومن مقومات الخطاب الديني الأساسية أن تكون مادته مستقاة من كتاب الله وسنة
رسوله وأن يكون قائما على الصدق وعلى الحقائق الثابتة وعلى الاعتدال والتوسط
وعلى الترغيب والترهيب وعلى الموضوعية لا على العنصرية والعصبية، وأن يكون
مسايرا للأحداث ومتأثرا ومؤثرا فيها.

والاعتدال والتوسط الذي هو شرط جودة الخطاب الديني — في علاقة المسلمين مع
من يخالفهم في عقيدتهم، فشرعية الإسلام تأمر أتباعها أن يمدوا يدهم للسلام والأمان

¹ — سورة النحل: 125.

² — سورة العنكبوت: 46.

والمعاملة الحسنة لكل من يمد يده إليهم للسلام والأمان والمعاملة الحسنة، وفي الوقت نفسه تنهاهم عن الرضا بالذل والهوان.

قال تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾¹.

ثانياً - تدعيم دور الأزهر الشريف في عملية الحوار

إن الحل قد يكمن - في نظرنا - في الدعوة إلى حوار الأديان جنباً إلى جنب حوار الحضارات.

لقد اكتسبت خطابات ومبادرات حوار الأديان دفعة قوية في الآونة الأخيرة ولعل الدور الذي يقوم به الأزهر الشريف حالياً يؤكد ذلك ومن الضروري تدعيم هذا الاتجاه.

ثالثاً - ضرورة العمل على فك الاشتباك بين مفهوم الجهاد في الإسلام وبين مفهوم الإرهاب.

رابعاً - تبني فكرة هذا الملتقى بالدعوة إلى مؤتمر موسع تطرح فيه باستفاضة ومنهجية علمية دعوة الأديان السماوية للحوار وليس التصادم لتحقيق أهداف إنسانية مشتركة على أن ينعقد هذا المؤتمر الموسع بصفة دورية حتى يكتسب روح الحركة الحضارية الواحدة غير المنحازة والتي تستطيع بفكرها وأصالتها الرد على كل المزاعم والادعاءات الغربية بأسلمة الإرهاب وبلورة حوار الأديان القادر على توضيح رؤى الإسلام الداعية للحوار والتعاون المشترك وتقديم الإنسانية.

خامساً - توجيه نداء للعالم ولكل القوى المحبة للسلام والتسامح والتعاون بين البشر لفتح التبادل الثقافي والحوار الديني والحضاري واستقبال المزيد من الأعضاء الفاعلين في حوار وتفاهم بهدف خلق عالم يحافظ على الذات الحضارية والقواسم المشتركة للأديان السماوية.

¹ - سورة الأنفال: 21.